لا شك ان الديانات، سواء كانت السماوية منها او والوضعية، قد أدت دورا مهما في تكوين المجتمعات ، وحيث ان هذه الديانات لا بد لها من طقوس، فقد شغلت تلك الطقوس الدينية حيزا كبيرا من العقل الجمعي لتلك المجتمعات وليس من الصعب الاستدلال على ذلك في طقوس عاشوراء عند شيعة العراق .

في الخطاب الشعبي للتعازي الحسينية

كامل داود

فقد تغلغلت فاجعة كربلاء في وجدان المسلمين (لاسيما الشيعة منهم) وكان في استشهاد الإمام الحسين (ع) ومقتله اللا انساني ما وضع الدولة الأموية في قفص الإدانة وأصبح بعدها الأمويون طغاة مستبدون في نظر المسلمين وانتزعت الشرعية التي قد يكون أسبغها عليهم عام الجماعة .

وبالرغم من مرور أكثرمن ثلاثة عشرة قرناً على تلك المأساة ألا أنها ما برحت تبث حزن ثقيل في النفوس تتوارثه الأجيال من جيل الى جيل تستذكر به كبرياء الضمائر النقية وعطائها .

ان هذا الحزن يُستذكَر عند الشيعة في شهري محرم وصفر من كل عام بشعائر وطقوس مختلفة وبخطاب يوظف المفردات العامية الفراتية وتحديدا، بلهجة الفرات الاوسط ، حتى لو أُقيم هذا الطقس في منطقة أخرى، ولعل مرد ذلك انطلاق تلك الطقوس من المدينة التي شهدت مقتل الحسين (ع) وهي كربلاء و تلفظ باللهجة الفراتية (كربلة) والتي كثيرا ما سائلها شعراء التعازي الحسينية عن ما حدث بها من المآسي العظام كما يقول الحاج زاير في رائعته(جينة ننشد كربلة مضيعينها) وكربلاء في معجم البلدان للحموي موضع (في طرف البرية عند الكوفة فأما اشتقاقه، فالكربلة رخاوة في القدمَين يقال: جاء يمشي مُكربلاً فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رَخْوة فسميت بذلك)

وفي التاريخ ان الامام الحسين (ع) (عندما وصل إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال: ما اسم تلك القرية وأشار إلى العقر فقيل له: اسمها العقر فقال: نعوذ باللهَ من العقر فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها. قالوا: كربلاءُ قال: أرض كرب وبلاء وأراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان).

ولمكان المعركة مسميات أخرى فهي (الطَّفُ أو أرض الطفوف) وفي المحيط باللغة للصاحب بن عباد طَفُ الفُرَاتِ: الشاطئ، وجَمْعُه طُفُوْفٌ فيقولَ الشاعرالحسيني في ذلك (يحادي لوين تريد بيهن/ كلي انذبح بالطف وليهن).وتسمى كذلك الغاضرية ويلفظها العامة (الغاذرية) والغاضريةُ: بعد الألف ضاد معجمة منسوبةً إلى غاضرة من بني أسد، وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاءَ.

اذن هي منطقة كان يسكنها بنو اسد تلك العشيرة التي اصبحت مرابعها ميدانا للقتال بالرغم منها، والغريب ان من أفرادها من كان له موقف شجاع ختمه بالاستشهاد مع الحسين (حبيب بن مظاهر) وعلى الطرف الآخر كان حرملة بن كاهن (على رواية الطبري) ويبدو انه كان يجيد الرماية بالقوس والسهام الأمر الذي جعله يُنتدب لرمي (عبد الله بن الحسين وهو طفل رضيع) بسهم فلم يخطأ نحره واصاب من الطفل مقتلا ، لذلك فأن الشيعة يضمرون لحرملة هذا من الاحتقار والكره الشئ الكثير وقد تبنى بنو اسد مواراة شهداء الطف بكل شجاعة وتبجيل وهذا موقف قد ثمنه لهم التاريخ كثيرا .

ومن مفردات خطاب التعازي الحسينية مفردة الشريعة بكسر الراء او المشرعة بفتحها وهي في اللغة العربية تشير الى مكان في النهر يشرب منه الماء فيقول الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة(الشريعَة: مَشْرَعَةُ الماء، وهو موردُ الشاربة) وان هذه المفردة قد أخذت الكثير من خطاب التعزية فهي المكان الذي استشهد فيه الإمام العباس بن علي (ع) في محاولته البطولية لفك الحصار الذي منع به جيش الحسين من ورود الماء فلقب (بحامي المشرعة) و(سبع المشرعة) وساجي العطاشى إضافة الى كونه (حامي اللواء او حامله) و (راعي الگنطرة).

لقد كان للإمام العباس (ع) من السجايا الفاضلة ما جعله محط تقديس ومهابة عظيمين في قلوب الشيعة فهو حامل اللواء وهو ساقي العطاشى الذي وصل الماء ولم يشرب منه قبل اخيه، وهو الفارس الذي لو ركب الفرس المطهّم لخطت قدماه في الأرض وهو قمر بني هاشم وهو من رفض أمان الأعداء الذي جاء به خاله، فالإمام العباس(ع) محور اساس ومهم في قضية عاشوراء لذلك خصص اليوم السابع من محرم لأستذكار مقتله والذي يعرف ب(كتلة العباس) حيث تنطلق مواكب العزاء بكل ثقلها وتقام مجالس التعزية و إن محرم في اليوم السابع يلبس بكل وضوح ثوبه الحزين فقد كان في استشهاده من البطولة ما اذهل اعدائه والاعداء في الخطاب الشعبي الحسيني هم (الگوم) والمفردة مأخوذة من القوم والتي وردت عند الفراهيدي في العين (القَوْمُ:الرجال دون النساء وقومُ كل رجل: شيعته وعشيرته). ومن الواضح ان هذه المفردة قد فقدت حياديتها وغدت تدل على جمع كلمة (عدو) أي ان (الگوم) هم الاعداء سواء اشتركوا في القتال او اركبوا(السبايا) على (الهِزل) في موكب السبي والهزل هي الإبل الضعيفة التي تحمّلَ (الظعن) (والظَعينَةُ: المرأة ما دامت في الهودج) وكان(العليل) من ضمن موكب السبي والعليل هو الإمام علي بن الحسين بن علي (ع) الذي نجا من القتل بأعجوبة وان كان مريضا كما يذكرالطبري، لذلك ترد مفردة العليل كثيرا،والذي لم يمنعه من القتال غير مرضه الذي ألزمه (المخيم) أو (الخيمگه) كما تدعى بخطاب التعازي فيقول الشاعر الحسيني (خيمگه برايات متعنيها) واللافت أن هذه المفردات العامية الفراتية أصبحت جزء من الخطاب الشعبي للتعازي الحسينية ولم تأبه تلك المفردات لا بتعاقب السنين، ولا باختلاف البلدان فقد تماهت بطقوس عاشوراء واسبغت عليها تراجيديا كربلاء من ثوبها المقدس ما جعلها تتربع في المخيال الشعبي وهي محاطة بهالة من حزن عاشوراء الثقيل، وبات من المحال تخيل ان يقوم خطاب التعزية من غير تلك المفردات.

حكاية من ذاكرة المدينة

الفتاة عمرة

حسين الهلالي

الشعراء يسعون الى كل ماهو جميل ويختلقون المناسبة ليقولون الشعر وهم يستمدون ذلك من الذائقة الشعبية التي تتلقف شعرهم وتتندر به في سمر الدواوين والمجالس الخاصة ويحول قسم منه الى الحان رائعة جميلة ، كانت مجالس الشعراء عامرة في الخمسينيات من القرن العشرين وخاصة مجالس شعراء الأبوذية في مدينة الشطرة العامرة في مجالسها الشعرية التي يرتادها الرواد

والشاعر الراحل عبد الواحد الهلالي هو احد رواد الشعر الشعبي في هذه المدينة الساهرة ترك اثني عشر وديوانين من الشعر الشعبي مخطوطة وديوانين من القريض، كانت هذه الحكاية في بداية حياته الوظفية سنة ١٩٥٢ حيث عين أول مرة سنة١٩٤٧ قارئ مقاييس في دائرة الكهرباء في الشطرة.

خرج ذات صباح ومعه عامل يحمل السلم وطاف في بعض شوارع المدينة.

ثم سار الى محلة الصابئة وطرق العامل احد الأبواب وفتح الباب من قبل فتاة جميلة اعجبت الشاعر وفي هذه اللحظة ناداها اخوها وعندما انتهى الشاعر من قراءة المقياس طرق الباب مرة ثانية وعادت عمرة اليه قال لها اريد اخاك ، ذهبت الفتاة الى اخيها واخبرته وجاء وهو لايعلم بأن في الباب عبد الواحد الهلالي الذي يرتبط معه بصداقة وبعد ان سلم عليه دعاه الى الجلوس.

اعتذر كونه مشغولا لكن قال:- لي طلب عندك؟

رد قائلا وماهو الطلب؟

قال عبد الواحد :- (هاي وين اختك ضامهه)؟!

اجابه (والله ابو خالد ماتغلى عليك)

رد عبد الواحد :- (لاهذا لاريده ، بس اريد احجي ابوذية عليهه).

رد اخوها (ياريت تشتهر ويجوني الخطابة)

قال عيد الواحد (ابشر بيهه).

وعند العصر اجتمع مجلس الشعراء وكان عبد الواحد الهلالي قد احضر البيت الأبوذية وطرحه للمساجلة وهذا نص المساجلة في الأبوذية حول الفتاة عمرة.

كعدنه اليوم وكت العصر عمره
على اليبلغ ثلاثه وعشر عمره
يناديها برقيق الصوت عمره
اخوها وشعل النيران بيه
وقد اجابه الشاعر هاشم فليح قائلا :- (١)
يخي الكعد وي اهواه عمره
اعتقد لو بالنزاع ايطول عمره
اذا تتمسك بخدين عمره
يواحد فزت بالجنه الهويه

وورد الجواب الثاني من السيد عزيز السيد نعمه الجابري
من عشائر بني زيد الشطرة حيث قال :-

ابمر الهجر دلالي يعمره (٢)
عسى الواشي بنكد يكضي يعمره
عكلك ثبت من صا حوا يعمره
يواحد يو همت برض الوطيه

ثم كتب ولده السيد منخي السيد عزيز السيد نعمه الجابري الذي يسكن مع والده في نفس المنطقة.

اليوم الكلب عنده اشوار عمره
اسف يكضي بنياحه وقهر عمره
يواحد حشى الدين اخدود عمره
مثل وجنات ساره اتصيح ليه
وله ايضاً عندما شاهدهم الشاعر واعجب بها هو الآخر
يواحد بالجبد اثر نبلهم
وحك شخصك بكل ساعه نبلهم
بشرع اهل الهوى عمره نبلهم
الطاع الهه دخل جنة الهويه

وكتب الشاعر وارد معن العجلي من سوق الشيوخ في نفس السنه ١٩٥٢

ياهو الماكضه بالويل عمره
وزمانه عليه ناصب د وم عمره
يخي ماني جتيل بشوك عمره
جتيل ابشوك عشرة هاشميه (٣)

وقد اشار السيد عزيز السيد نعمه على الشاعر عبد الواحد الهلالي ان يساجل الشاعر ساير العلي الصابئي الساكن مع راضي ال كنش بني زيد حول هذا الموضوع وذكر له ان لدى سائر الصابئي بنت اسمها جاسمية ذات جمال اخاذ فكتب عبد الواحد الهلالي اليه يقول :-

جان الوكت حا ليلي وسايار
الضعن كفه وانا تابع وسايار
يهاشم لوصل الراضي وسايار
اخبرنه بعمامه اشكصوا بيه

وكتب له ايضاً
هجرهم غدى بلب احشاي يبره
انكسر كلبي يساير كوم يبره
اصلك نكت وبغي اليوم يبره
بدل عمره طلبتي جاسميه

اجابه الشاعر سائر العلي الصابئي
يواحد لاتكل ساير وراضي
حبيبك غارج ابشوكك وراضي
ابحلات النوم افز مختل وراضي
شمس لو خدعميره لاح ليه

اجابه الشاعر عبد الواحد الهلالي
حبيبي اشمه ارده اكتمنه يجسمه
على الساني وظل الهج يجسمه
اشكو كلب الهوى بسيفه يجسمه
لجن كل قسم يندب جاسميه

وقد ختمت هذه الحكاية وهذه المساجلةالأدبية الطريفة بأن جاء ساير العلي
الى الشاعر عبد الواحد الهلالي طالبا منه ان يختم هذا الموضوع خشية ان تسمع جاسميه به فتقطع عقالها.

١- الشاعر هاشم فليح من شعراء الأبوذية الرواد في مينة الشطرة تربطه مع الشاعر الراحل. عبد الواحد الهلالي صداقة والفة ، رحل الشاعرهاشم فليح سنة ٢٠٠٦.

٢- يقصد الشاعر المر آلة يستعملها الفلاحون للحفر وكذلك عما ل البناء

٣- لعلها صابئية هي الأخرى وقع بحبها الشاعر وارد معن العجلي.

النشاط الفولكلوري للباحث فؤاد جميل

(2 ـ 2)

ا.د. صباح نوري المرزوك

٧٠.لكل «فولكلورية» اصل : دكي حيل د تسمع الكنديره ! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٣٠، ١٩٦٧/٣/١١م ،

٧١.لكل «فولكلورية» اصل : روح فهم الاغا (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٤ ، ١٩٦٦/٩/١٠م ،) .

٧٢.لكل «فولكلورية» اصل : شبني وشحط بالبيت وشنطي لـ(حميدي) وشدعي اعل (سيد نور) و (ابن السويدي) (م/ الفكاهة (بغداد) ، ع٣١، ١٩٦٧/٣/١٨م.

٧٣.لكل «فولكلورية» اصل : شموع خضر الياس (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٤١، ١٩٦٧/٥/٢٧م ،)

٧٤.لكل «فولكلورية» اصل : شنو ..؟ قابل هي (ولاية بطيخ) (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٣ ، ١٩٦٦/١١/١٢م)

٧٥.لكل «فولكلورية» اصل : ضاري بجاهه الـ(لندن)... وساعه ومضمومه يا (لندن) !! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٢١، ١٩٦٧/١/٧م ،)

٧٦.لكل «فولكلورية» اصل : طلعت الشميسه... على كبر عيشه... عيشة بنت الباشا (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٢٢، ١٩٦٧/١/١٤م .

٧٧.لكل «فولكلورية» اصل : الطوب احسن لو مكواري ؟ (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٢٦، ١٩٦٧/٢/١١م) .

٧٨.لكل «فولكلورية» اصل : الطوفان ... و(سفينة نوح) (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٤٠، ١٩٦٧/٥/٢٠م)

٧٩.لكل «فولكلورية» اصل : فرهود .. خومو الدنيه فرهود ، يامولانا (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٣٥، ١٩٦٧/٤/١٥م).

٨٠.لكل «فولكلورية» اصل : فطيم بسوك الغزل وحمده اخت حلو (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٢ ، ١٩٦٦/١١/٥م).

٨١.لكل «فولكلورية» اصل : قابل هي (زفة ام اسلاح) ... يا مولانا ! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٣٧، ١٩٦٧/٤/٢٩م)

٨٢.لكل «فولكلورية» اصل : المايزوره السلمان عمرة خسارة (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٦ ، ١٩٦٦/٩/٢٤م)

٨٣.لكل «فولكلورية» اصل : مولانا ... بعديش ؟ بعد خراب البصرة (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٢٥، ١٩٦٧/٢/٤م)

٨٤.لكل «فولكلورية» اصل : مولانا ... هذا يفطن على (وقعة ابن رشيد) (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٩، ١٩٦٦/١٢/٢٤م)

٨٥.لكل «فولكلورية» اصل : مولانا ... هذا يقره جيبه (رباز) !! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٥، ١٩٦٦/١١/٢٦م)

٨٦.لكل «فولكلورية» اصل : نتعارك ع(الهواي) : (عركة بنشة) والي يرشة بماي ، بدمنة نرشة (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٤، ١٩٦٦/١١/١٩م) .

٨٧.لكل «فولكلورية» اصل: هذا (اليوم) الجنه نريده !! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٤٣، ١٩٦٧/٦/١٠م)

٨٨.لكل «فولكلورية» اصل: هذه مشكلة... مايحلها (علي بن صويح) !! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٥٠، ١٩٦٧/٧/٢٩م)

٨٩.لكل «فولكلورية» اصل : الهدهد ... على عرفه يطردونه !! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٣٦، ١٩٦٧/٤/٢٢م ،)

٩٠.لكل «فولكلورية» اصل : هز لندن ضاري وبجاها (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٤٦، ١٩٦٧/٧/١م ،) .

٩١.لكل «فولكلورية» اصل : واويكم يا (نايف) .. جانه بجدي (صوجر) حطوله بـ(كشكوله) (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٤٩، ١٩٦٧/٧/٢٩م)

٩٢.لكل «فولكلورية» اصل : وردت على (بعيجي) ... وردت على (بعيجي) ... تدرس بحجل الذهب وتحوش بالغيجي ! يكلون ميك شفا ... يا مي البعيجي ... نورد منك الكطا ... بسنين وسميه ! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٢٨، ١٩٦٧/٢/٢٥م)

٩٣.لكل «فولكلورية» اصل : يا الراكع خشمه من زنده ، بجاهه من (الشام) الـ(لنده) (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٧، ١٩٦٦/١٢/١٠م)

٩٤.لكل «فولكلورية» اصل : يا (طوب ابو خزامه) شديت الك علامه ... لازم اجيب الشمعه لمن تكمل ايامه (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٢٤، ١٩٦٧/١/٢٨م)

٩٥.لكل «فولكلورية» اصل : يا (قرية شيت) اكلي ونامي ! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٣٤، ١٩٦٧/٤/٨م)

٩٦.لكل «فولكلورية» اصل : يا وحيد ...صح ، لو مغشوشة ؟! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٦، ١٩٦٦/١٢/٣م)

٩٧.لكل «فولكلورية» اصل : يا وليد لاتنسانه بـ(جامع الحيدر خانه) ؟! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٢٧، ١٩٦٧/٢/١٨م)

٩٨.لكل «فولكلورية» اصل : يتوزع و(طروح) انشيله !! (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٤٨، ١٩٦٧/٧/١٥م)

٩٩.لكل «فولكلورية» اصل : يجد (ابو كلاش) يعتني وياكل (ابو جزمة) الهني (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٠ ، ١٩٦٦/١٠/٢٢م) .

١٠٠.لكل «فولكلورية» اصل : يعجبني نزلة وياك لـ(الكوت) ... اجاهد ، حطني بحدر الطوب وظل انت كاعد (م/الفكاهة (بغداد) ، ع١٨، ١٩٦٦/١٢/١٧م)

١٠١.لكل «فولكلورية» اصل : يكوكز وين وجهك ؟ ... جوك (اهل لملوم) ، نطلبك بـ(الشعيبه) وعرضيت النوم (م/الفكاهة (بغداد) ، ع٣٩، ١٩٦٧/٥/١٣م) .

١٠٢.مأثورات البادية في العراق (ج/البلد (بغداد) ، ع٤٢٠ ، ١٩٦٥/١٠/٥م) .

١٠٣.المأثورات الشعبية في العراق وجذورها العربية والعالمية والانسانية ، نماذج من الاساطير والقصص (ج/البلد (بغداد) ، ج١ : ع١٥٦ ، ١٩٦٤/٣/٩م ، ج٢ : ع١٥٧ ، ١٩٦٤/٣/١٠م ، ج٣ : ع١٥٨ ، ١٩٦٤/٣/١١م) .

١٠٤.مأثوراتنا الشعبية (م/ العربي (الكويت) ، ع٦٢ ، شباط ١٩٦٤م) .

١٠٥.المثل الانسانية القومية الرفيعة في سيرنا الشعبية (م/ الاذاعة والتلفزيون (بغداد) ، ع٧ ، اب ١٩٦٥م ، ص١٣.١٢) .

١٠٦.المرأة البدوية في المجتمع العراقي (ج/البلد (بغداد) ، ع١٠٤٤ ، ١٩٦٧/١١/١٣م) .

١٠٧.مضارب البدو في العراق (ج/البلد (بغداد) ، ع٩٦٧ ، ١٩٦٧/٨/٩م) .

١٠٨.المقامات العراقية (ج/البلد (بغداد) ، ع١٨٩ ، ١٩٦٤/٤/١٦م) .

١٠٩.ملامح المجتمع العراقي في مأثوراته الشعبية : العاب رمضان في بغداد (ج/البلد (بغداد) ، ع١٣٠ ، ١٩٦٤/٢/٥م) .

١١٠.ملامح المجتمع العراقي في مأثوراته الشعبية : الهواذير والهوسات الشعبية (ج/ البلد (بغداد) ، ج١ : ع٤٠ ، ١٩٦٢/١٠/١٢م ، ج٢ : ع٤١ ، ١٩٦٣/١٠/١٤م) .

١١١.الموسيقى والغناء والفنون الاخرى ودلالاتها على الشعوب (ج/البلد ، ع٥ ، ١٩٦٣/٧/٢٢م) .

١١٢.النخوة البدوية في العراق (ج/البلد (بغداد) ، ع٨٩٤ ، ١٩٦٧/٥/١١م) .

١١٣.الواقعية والمثالية بالامثال العراقية (ج/البلد (بغداد) ، ج١ : ع٦١ ، ١٩٦٣/١١/١٠م ، ج٢ : ع٦٥ ، ١٩٦٣/١١/١٥م) .

١١٤.وشائج القربى عند بدو العراق (ج/البلد (بغداد) ، ع١٠١١ ، ١٩٦٧/١٠/٥م) .

١١٥.وشائج القربى في مأثورات البادية (ج/البلد (بغداد) ، ع٣٩٠ ، ١٩٦٥/٨/٣١م) .